تعدد الأصوات في السيرة النبوية لابن هشام ٢١٨هـ تعدد الشخصيات أنموذجا دراسة وصفية تحليلية

الباحثة: غادة بنت سعد حسن الأسمري

قسم: اللغة العربية وآدابها

المستخلص:

يعد كتاب السيرة النبوية لابن هشام (٢١٨هـ) موروثاً تاريخياً يستعرض الحياة البشرية والأديان السماوية من عهد إسماعيل- عليه السلام- حتى وفاة سيد الخلق ﷺ ، ونظراً لأهميته فقد حظي بالعديد من الدراسات التاريخية والدينية والتربوية، وتقل الدراسات الأدبية رغم سردية نص السيرة الذي تضمن أجناساً أدبية متنوعة، كما ساهم امتداد الزمان والمكان في تعدد البيئات والديانات والتي أنتجت تعددية في وجهات النظر والشخصيات، فهو مجال خصب لدراسة بينية يخضع فيها النص التاريخي للدرس الأدبي من خلال مفهوم (تعدد الأصوات) الذي تمخض عن مفهوم (الحوارية) الذي نقله باختين من اللسانيات إلى الأدب، فأصبحت التعددية خاصية مميزة للراوية ثم للأدب عامة، وهي ليست مجرد تداخل بين الأصوات والنصوص، بل تمثل أشكال حضور الآخر في خطاب المتكلم، لا صوتاً فحسب بل وعياً إيديولوجياً ومن ذلك: تعدد الشخصيات الذي سيتناوله البحث، ولقد اختير كتاب السيرة النبوية لا بن هشام مادة للدراسة لشهرته حتى تكاد السيرة النبوية تعرف به، ولجهده في تمحيص كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق والاستغناء عن الشواهد الشعرية التي لم تثبت روايتها.

المقدمة:

تعد الشخصية عنصراً مهماً وفعّالاً في البناء الحكائي، حيث نالت مساحة من اهتمام النقاد ومجالاً في الدراسات النقدية والأدبية الحديثة؛ لكونها تمثل الفاعل الرئيس في الحدث السردي ولا يمكن تصور حدث من غير فاعل، وبذلك تعد الشخصية ذات موقع مركزي في دائرة الحدث، وهذه الشخصية إنمَا وجدت لغاية يريدها المؤلف لتبني موقفاً، أو خدمة فكرة، أو الدفاع عن قضيةٍ ما، وعلى الرغم من حساسية هذا المفهوم ومدى تأثيره على من حوله، تجد الدراسة الغموض يحيط به من كل جانب

حيث علل تودوروف إهمال النقاد لهذا المفهوم فقال:(لقد خضعت التقاليد الأدبية المرتبطة بالشخصية إلى تحولات عميقة منذ أرسطو وعبر الفترات التي أعقبته من تاريخ الأدب بحيث أصبح من الصعب التعرف على مفهوم الشخصية في إطاره الدياكروني) ؛ ممّا أحدث خلطاً لدى القارئ، ولتوضيح هذا المصطلح ومراحل تطوره تتبع الدراسة جذره اللغوي والاصطلاحي ثم تذكر عدداً من آراء النقاد حول مفهومه:

جاء في لسان العرب: في مادة (شخص) الشَّخْصُ: جماعةُ شخْصِ الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشْخاصٌ وشُخُوصُ وشِخاص، والشّخْصُ: سوادُ الإنسان وغيره تراه من بعيد، تقول ثلاثة أَشْخُصٍ، وفي الاصطلاح:(فإن الشخصية (Personality) كلمة لاتينية من (persona)، ومعناها القناع أو الوجه المستعار الذي يضعه الممثل على وجهه من أجل التنكر وعدم معرفته من قبل الآخرين ولكي يمثل دوره المطلوب في المسرحية فيما بعد).

مفهوم الشخصية:

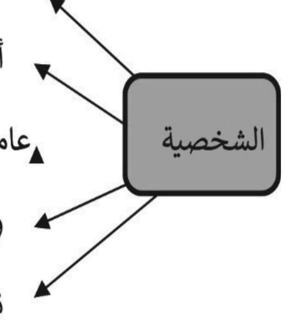
تعد الشخصية ركيزة العمل الأدبي التي من خلالها يصّور المؤلف واقعه ويكشف عن أغواره؛ لذلك فقد تناولها النقاد بالدرس والتحليل، وتعددت الآراء بهدف استجلاء هذا الغموض، يذهب تودوروف إلى كون الشخصية هي موضوع القضية السردية، وبالتالي فهي تختزل إلى وظيفة تركيبية بدون أي محتوى دلالي، ويشدد يان ما نفريد على أن الشخصية مجرد كائن ورقي خلقه المؤلف موجود داخل النص التخيلي أو الروائي في مستوى الفعل أو الوسيط وبذلك هو غير

حقيقي، وهي عند رولان بارت نتيجة عمل مؤلف، كما أكد غريماس على أنّ الشخصية مجرد دور يؤدى في النص بغض النظر عمن يؤديه' ويرى حسين القباني أن للشخصية قيمة فهي محور القصة كلها' سواء كان ذلك لأفراد خياليين أو واقعيين، ويركز يقطين على الدور الذي تقوم به الشخصية فهي العنصر الحيوي الذي يربط بين مختلف هذه الأفعال في الحكي.

من المفاهيم السابقة يتضح أهمية الشخصية في المتن الحكائي، فهي عنصر لا غنى عنه في أي متن حكائي، ولكن طرق توظيفها ووصفها ومظاهرها تختلف من كاتبٍ إلى آخر، ومهما اختلف الكتاب في طرق تقديمها فإن ذلك لا يقلل من أهمية وجودها الذي لا يمكن استبداله بأي عنصر آخر، وبدونها لا يمكن بناء نص سردي.

أهمية الشخصية:

تكمن أهمية الشخصية الحكائية في قدرتها على تجسيد العمل الأدبي، كما تعد قاعدة أساسية ينطلق منها الحكي، وهذه الشخصية وإن كانت مجرد كائن ورقي؛ إلا أنّ لها دوراً مؤثراً في عناصر العمل الروائي: كالوصف والحوار واللغة والحدث : إنها هي التي تصطنع اللغة، وهي التي تبث أو تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المناجاة، وهي التي تصف معظم المناظر، وهي التي تنجز الحدث، وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكها وأهوائها وعواطفها...) [٨]، وتأثيرها يمتد حتى للقارئ الذي تساعده في توضيح سيرورة الأحداث عند قراءتها ومعرفة فكر الروائي عن طريقها؛ وبذلك تعد المكون الأساسي في العمل السردي التي من خلالها يمكن أن نتبين عدة أمور تتمثل في الشكل التالي:



شكل رقم (٢–٤) أهمية الشخصية.

أمّا على صعيد التعددية اللغوية فإن أهمية الشخصية تكمن في: تعددية اللغة الروائية، باعتبارها عامل تنضيد، لها منطقة تؤثر بها ويمتد تأثيرها ما وراء حدود الخطاب المباشر للشخصية الروائية، فهو يتجاوز الأغراض النفعية والذاتية للشخصيات، ليغذي بؤرة التعدد اللغوي للرواية، كما أن تعدد الشخصيات ميزة يمتاز بها النص البوليفوني، ولكنّه لا يعد سمة رئيسية فقد يظهر التعدد في الشخصية الواحدة، ويكون تأثيرها ممتد لا نهاية له على المستوى الفني والشكلي للنص الأدبي، ولقد شهد مفهوم الشخصية تطورات عدة على مر السنين، وتعددت تبعاً للاتجاهات المختلفة في السرد فكان منها:

الاتجاه التقليدي: الذي يصنف الشخصية باعتبار أنها كائن حي من لحم ودم، لابد من العناية بأدق التفاصيل فيها، ووصف ملامحها الباطنة والظاهرة، فالسارد هنا يحاول أن يحاكي الواقع من حوله مستمداً شخصياته منه فنجده يمثل شخصية: الفقير والغني، والقوي والضعيف، والصغير والكبير، واللئيم والكريم، والشهم والدنيء.... ومالا يحصى من الطباع والخلال ، فأصبح السرد التقليدي حبيس الواقع وكأنه وثيقة تاريخية للتسجيل لا يدع مجالاً للخيال فيه، وهذا بسبب إصراره على محاكاة الواقع.

الاتجاه الحديث: يرى أن الشخصية في النص السردي ليست سوى كائن من ورق ونادى بالحد من المبالغة في وصف الشخصية، وتقليص التفاصيل المتعلقة بها، ونتيجة لذلك أصبحت الشخصية لا تنفصل عن عناصر عدة: كالوصف والسرد والحوار على عكس السابق.

الشخصية في النص البوليفوني:

تكتسب الشخصية في النص متعدد الأصوات حرية التعبير التي تفتقدها نظيرتها في النص المنولوجي، وذلك لكونه نصاً يتضمن أصواتاً لشخصياتٍ عدة تختلف في الرأي والتفكير، وقد تتعارض بذلك مع صوت الكاتب وفكره؛ ممّا يتطلب من الكاتب

أن يكون على دراية عميقة بالشخصيات التي يضعها في نصه، يقول باختين:(دوستويفسكي هو خالق الرواية المتعددة الأصوات Polyphone لقد أوجد صنفاً روائياً جديداً بصورة جوهرية، ولهذا السبب بالذات فإنّ أعماله الابداعية لا يمكن حشرها داخل أطر محددة من أي نوع، وهي لا تذعن لأي من تلك القوالب الأدبية التي وجدت عبر التاريخ والتي اعتدنا تطبيقها على مختلف ظواهر الرواية الأوروبية) ، وتلحظ الدراسة أنّ الشرط الأساسي في النص البوليفوني بحسب تعريف باختين ليتحقق تعدد الشخصيات هو تنوع المذاهب والأيديولوجيات، التي تسمح بانفتاح النص على عدد غير متناهٍ من الآراء المختلفة وأنماط الوعي المتعددة.

كما أنّ تعدد الأهواء والمذاهب والأيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود يعد من سمات النص البوليفوني، كما أن الشخصية في النص البوليفوني تستقل بصوتها عن صوت الكاتب، بل قد يتعارض مع صوته ويخالفه، وقد يعلو صوتها ويختفي صوت الكاتب، فهي سيدة الموقف والموجه الرئيس للحدث لا المؤلف، وهي بذلك تتحرر من قيود المونولوج الذي كان يسيطر عليها.

كيفية تقديم الشخصية:

تختلف طرق تقديم الشخصية الحكائية من كاتب إلى آخر، وذلك رهين لفلسفة الكاتب وثقافته وخياله الواسع، فالكاتب قبل أن يسجل هذه الشخصيات على ورق هو يخلقها في خياله، ويرسم ملامحها الخارجية: كالبنية الجسدية والشكلية، ويصف داخلها: كالرغبات والنزعات النفسية، ويصف أيضاً علاقتها مع الشخصيات الأخرى، وهذه الشخصيات إما محضاً من خياله، أو شخصيات حقيقية من واقعه الذي لابد أن يتصل به فهو مرتبطٌ به على كل حال.

تمتاز مادة السيرة النبوية بامتدادها الزماني والمكاني منذ عهد إسماعيل –عليه السلام– وحتى وفاة الرسول ﷺ ، وقد تناولت مختلف البيئات والطبائع التي تركت

أثراً أيديولوجياً واضحاً، وانعكس ذلك على تعدد الشخصيات الحكائية، وتباين أفكارها ومعتقداتها، على مستوى القصة الواحدة أو عدة قصص فمن الأول:

نجد في شخصية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم الرسول ﷺ نموذجاً للتعددية ومن ذلك ما ورد في قصة إسلامه، فهو يمثّل الشخصية المتمسكة بالمعتقدات ودين الآباء والأجداد، وهو يحرص على الطواف بالكعبة في كل مرة يعود فيها من القنص يظهر ذلك في قوله :(فلم يلبث حمزةُ بن عبد المطلب رضي الله عنه أَن أَقْبل متوشّحا قوسَه راجعاً من قَنَص له، وكان صاحب قَنص يَرْميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قَنصه لم يصلْ إلى أهله حتى يطوف بالكعبة) ، وشخصية اجتماعية تتمثل في مخالطة المجتمع الجاهلي وحرصها على زيارة كل نادٍ من نوادي قريش وإلقاء التحية عليهم وتبادل أطراف الحديث، ودليل ذلك قوله:(وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادٍ من قُريش إلا وقف وسلَم وتحدثّ معهم).

ومن السابق نلحظ كون حمزة رضي الله عنه شخصية منسجمة تتآلف مع المجتمع الجاهلي ومنسجمة مع أفراده، وما لبث هذا التمسك بالمعتقد والدين والألفة التي كانت بين الشخصية وأفراد هذا المجتمع أن تبدلت، بسبب علم حمزة رضي الله عنه بأذى أبي جهل للرسول، ﷺ فلم يرض بالظلم الذي لحق بابن أخيه والذي مسّ كرامته، فتبدلت معتقداته التي كان يحرص عليها وتخلى عن دين الآباء والأجداد، وظهرت شخصية المسلم الذي يمنع الأذى عن الرسول ﷺ ، فكان إسلامه حمية وانتصاراً لابن أخيه، تبعه قناعة بالدين الإسلامي يظهر ذلك في قوله: (فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يَقِفْ على أحد، مُعِداً لأبي جهل إذا لَقيِه أن يُوقع به فلما دخل المسجدَ نظر إليه جالساً في القومِ فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوسَ فضربه بها فشجّه شجةً مُنكرة ثم قال: أتشتُمه وأنا على دينه أقول ما يقول. ويلحظ تبدل شخصية حمزة رضي الله عنه من كونه فرداً من المجتمع الجاهلي يرتبط مع أفراده بعلاقة ود وألفة إلى شخصية تقف ضدهم وتحاربهم بجهاده

مع المسلمين في غزوة بدر ومبارزته يظهر في قوله:(وبارز حَمْزةُ شيبةً بن ربيعة؛ وبارز عليٌّ الوليدَ بن عُتبة، فأما حمزة فلم يُمهِل شيبةَ أنْ قتله) ، فأصبح شخصية تألف الإسلام والمسلمين يظهر ذلك في هجرته للمدينة حيث آخى الرسول ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ،و لقد وجدت التعددية في شخصية حمزة رضي الله عنه بدءاً من الشخصية المعارضة تعتنق دين الآباء والأجداد وتتمثل بمعتقداتها، وترتبط بهذه البيئة بعلاقة ود وتواصل، ثمّ تحولها لشخصية تنبذ هذه المعتقدات وتستبدلها بالدين الإسلامي ومعتقداته، ثمّ انقلاب هذه الألفة والجوار مع البيئة السابقة إلى عداوة وجهاد ضدهم، ودفاع عن الدين الإسلامي الذي أصبحت تنتمي إليه.

ومن ذلك –أيضاً– شخصية الطفيل بن عمرو الدوسي الذي كان على دين الشرك، حتى قدم مكة ممن قصدها من العرب، وتأثروا بدعوة قريش في تحذيرهم من الرسول ﷺ ودعوته، وظل يتجنب الرسول ﷺ وأقواله فكان شخصية قلقة تخشى التأثر وذلك في قوله: (قال: فو الله ما زالوا بي حتى أجمعتُ ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلّمه، حتى حشوتُ في أذني حين غدوت المسجد كُرْسُفاً، فَرقاً من أن يبلغني شيءٌ من قوله) ، لقد كان يعرض عن الإنصات إلى قول الرسول ﷺ ويحرص ألا يسمع منه شيئاً، وهذا الحرص والإعراض يوحي بشخصية تفقد الثقة بدينها ومعتقداتها وتبحث عن المزيد، ولديها قابلية للتأثر بذلك يظهر في قوله: (فما يَمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسناً قَبلتُه، وإن كان قبيحاً تركتُه), لقد وجد الطّفيل في الدين الإسلامي ما كان يفتقده من القناعة والطمأنينة، والمعتقدات التي تقوم على الحق والعدل، فترك دينه ومعتقداته السابقة لأنها لم تكن تحقق له ذلك، يظهر في قوله: (فعرض عليّ رسولُ الله ﷺ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن، فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه، ولا أمراً أعدل منه) ،[٤] وهذا ما دفعه لاعتناق الإسلام وترك دين الآباء والأجداد، وهذا الأمان الروحي الذي شعر به، دفعه أن يستأذن الرسول ﷺ في دعوة قومه للإسلام كذلك، يظهر في قوله:(قال: فأسلمت

وشهدت شهادةَ الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرُؤ مُطاع في قومي، وأنا راجعٌ إليهم، وداعيهم إلى الإسلام) . تجد الدراسة التعدد –كذلك– في كون الطفيل كان شخصية مشركة تعبد الأصنام، وتحولها إلى شخصية تنبذها وتحرقها يظهر في قوله :(قال: قلت: يا رسول الله، ابعثني إلى ذي الكفّين، صنمِ عمرو بن حُمَمَة حتى أُحْرقه)[١] ، وشخصية تحارب من أجل الدين الإسلامي إلى أن تتوفاها الله، يظهر في قوله :(فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين، فسار معهم حتى فرغوا من طُليحة، ومن أرضِ نَجْد كلّها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة). وتلحظ الدراسة التعددية في شخصية الطفيل كونه يمثّل الشخصية القلقة والمفتقدة للأمان الروحي في البيئة التي ينتمي إليها، فالطفّيل حين سمع من الرسول ﷺ أمر الدين الإسلامي أشاد به وبعدله والمعتقدات التي ينادي بها؛ وهذا ينمّ عن عدم قناعة الشخصية بالمعتقدات التي كانت تتمثل بها في دين الآباء والأجداد من عبادة الأصنام، فأصبح بعد الإسلام شخصية مطمئنة وراضية، مما دفعها إلى الدعوة إلى الله من أجل هذا الدين، ونبذ الأصنام التي كانت تعبدها وحرقها، والبقاء على الدين الإسلامي حتى وفاتها.

إنّ القاسم المشترك في تعدد الشخصيات السابقة، هو طبيعة البيئة الأيديولوجية لمادة السيرة النبوية التي نشأت بها، والتي تضمنت ديانات متعددة: كالوثنية، واليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والإسلام، وما تضمنت كل ديانة من المعتقدات التي تخالف الديانات الأخرى؛ فكانت بذلك بيئة مثالية ساهمت في تعدد الشخصيات، وكان الاختلاف الأيديولوجي الركيزة الأساسية في تعددها، حيث إنّ كثرة الشخصيات في قصةٍ ما لا يعني بالضرورة وجود التعدد، إنّ تعدد الشخصية الذي يعنينا هو اختلاف فكرها الإيديولوجي عما كانت عليه، وهو ما حظيت به السيرة النبوية التي ضمّت نماذج عديدة. وتؤكد الدراسة على أنّ شخصية واحدة في الخطاب الحكائي قادرة على أن تحقق التعدد في الشخصيات، ومن ذلك شخصيتا عمر بن الخطاب

رضي الله عنه وسلمان الفارسي، اللتان تمثّلان تعدد الشخصية الواحدة في عدة قصص، وهي كالتالي:

عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

إنّ شخصية عمر رضي الله عنه شخصية متعددة على مستوى الدين، والفكر، والأخلاق، والإنسان، ومن مستوى الدين كان عمر رضي الله عنه يمثل شخصية مشركة تعبد الأوثان وتقدّس الأصنام، ومن ذلك حديثه عن نفسه مع سواد بن قارب حين أقبل عليهم وهم في مسجد الرسول ﷺ، يظهر في قوله: (فقال له عمر رضي الله عنه: هل أسلمت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال له: فهل كنت كاهناً في الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين! لقد خِلْتَ فيّ، واستقبلتني بأمرٍ ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليتَ ما وليتَ؛ فقال عمر: اللهم غَفراً، قد كنّا في الجاهلية على شرٍ من هذا، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام)' وعلى مستوى الأخلاق، كان شخصية غير مسؤولة تعاقر الخمر يظهر في قوله:(كنت للإسلام مُباعداً: وكنت صاحبَ خَمْر في الجاهلية، أَحبّها وأُسرُّ بها...)· وعلى مستوى الإنسان شخصية ظالمة ومستبدة، حيث كان يعذب المسلمين ليفتنهم عن الإسلام ومن ذلك أن أبا بكر كان يمر على الذين يعذبون ليصبرهم ويذكرهم بالجنة ويعتق من استطاع منهم يظهر في قوله: (ومرّ بجارية بني مُؤمَّل، حيّ من بني عديّ بن كعب، وكانت مُسلمةً، وعُمر بن الخطّاب يُعذّبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشركٌ وهو يضربها، حتى إذا ملّ قال: إني أعتذر إليك: إني لم أتركْك إلا ملالةً؛ فتقول: كذلك فَعل اللهُ بك، فابتاعها أبو بكر، فأعتقها).

وشخصية شديد العداوة والكره للرسول والإسلام من ذلك ما ورد في رغبته بقتل الرسول ﷺ يظهر في قوله: (فخرج عمرُ يوماً متوشِّحا سيفَه يريد رسولَ الله ورهطاً من أصحابه قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيتٍ عند الصَّفا، وهم قريبٌ من أربعين ما بين رجال ونساء.... فلقيه نُعيم بن عبد الله، فقال له: أين تريد يا عمرُ؟ فقال:

أريد محمداً هذا الصابئ، الذي فرَّق أمرَ قُرَيش، وسفَّه أحلامَها، وعاب دِينَها، وسبّ آلهتنا، فأقُتله). وشخصية تفتقد للأمان الروحي، وتعيش القناعة المطلقة بالمعتقدات التي تحارب من أجلها، ويتبين ذلك من تأثر عمر رَضِيَ الله عَنْهُ بالقرآن حين سمع الرسول ﷺ يتلوه عند الكعبة، فبكى وسكنت نفسه بالقرآن، وكأنّه كان تائهاً في ظلام الكفر، ودلّ طريقه بالإسلام، يظهر في قوله:

(فجعلتُ أمشي رويداً، ورسولُ الله ﷺ قَائمٌ يصلّي يقرأ القرآن، حتى قمتُ في قبلته مُسْتقبلَه، ما بيني وبينه إلا ثيابُ الكعبة، قال: فلما سمعتُ القرآنَ رقّ له قلبي، فبكيتُ ودخلني الإسلامُ، فلم أزلْ قائماً في مكاني ذلك، حتى قضَى رسولُ الله ﷺ صلاتَه، ثم انصرف). لقد كانت نقطة التحول في شخصية عمر رضي الله عنه عند قراءته القرآن ممّا ورد في قصة إسلامه، حين أخبر بإسلام أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد، فذهب إليهم ليتحقق من أمرهم، وهو بذلك يعيش صراعاً داخلياً، فهو يلتمس من حوله ويرى أنّ أمر الإسلام قد شاع في مكة، وقد أسلم أقرب الناس إليه ممّا أوجد في نفسه قلقاً تجاه الدين الإسلامي، وماهيته وحقيقة ما جاء به الرسول ﷺ، وذلك يظهر في قوله:)وقال لأخته: أَعطيني هذه الصحيفة التي سَمِعْتُكم تقرؤون آنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد). وما حدث من قراءة عمر لسورة طه وتأثره بذلك ثمّ إسلامه، فتحول من شخصية تعتنق دين الجاهلية، إلى شخصية مسلمة مصدقة بالرسالة المحمدية يظهر في قوله:(فقال عمرُ: يا رسولَ الله، جِئْتك لأُومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله؛ قال: فكبّر رسولُ الله ﷺ تكبيرةً عرَف أهلُ البيت من أصحاب رسولِ الله ﷺ أن عمرَ قد أسلم). وحظيت شخصية عمر رضي الله عنه بالأمان الروحي الذي كانت تفتقده، والقناعة المطلقة بأنّ أمر الدين الإسلامي حق، وسعادته بهداية الله له يظهر في قوله: (فقال عمر: اللهم غَفراً، قد كنّا في الجاهلية على شرٍّ من هذا، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام). ثمّ تلحظ الدراسة في شخصية عمر الألفة التي أصبحت بينه وبين

المجتمع الإسلامي، الذي كان من أشدّ الناس عداوة وأذىً له، من ذلك حين آخى الرسول ﷺ بين عمر رضي الله عنه وبين عتبان بن مالك أخي بني سالم بن عَوف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج فكانا أخوين، وأصبح عمر رضي الله عنه شخصية محبة للرسول ﷺ، ومحباً لأي عملاٍ لأجله، من ذلك ما ورد في طلب وفد نصارى نجران من الرسول ﷺ أن يبعث معهم رجلاً يحكم بينهم في أمور اختلفوا فيها يظهر في قوله: (قال محمدُ بن جعفر: فقال رسولُ الله ﷺ: اِئْتوني العشيَّةَ أبعثْ معكم القويَّ الأمين، قال: فكان عمرُ بن الخطّاب يقول: ما أحببت الإمارةَ قطُّ حبِّي إياها يومئذ، رجاءَ أن أكون صاحبَها....)[١] ، ويلحظ -هنا- تبدّل شخصية عمر من شخصية غير مسؤولة تعاقر الخمر إلى شخصية منفذة ترغب بتولي الإمارة، ورغبته بأن يكون شخصية منتجة، على عكس السابق. كذلك تتبدل شخصية عمر رضي الله عنه التي كانت تؤذي الإسلام ورسوله، إلى شخصية حاضرة في المقدمة للدفاع عنه يظهر في قوله:(عن ابن عبّاس: أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرِهم قد أُخْرِجوا كَرْها، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتُله، ومن لقي أبا البَخْتَرِيّ بن هشام بن الحارث ابن أسد فلا يقتله، فإنه إنما أُخْرج مُسْتكرها. فقال: أبو حُذيفة: أنقتُل آباءنا، وأبناءَنا، وإخوتَنا، وعشيرَتنا. ونترك العبّاس! والله لئنِ لقيتُه لأُلْحِمنّه السيفَ- قال ابن هشام: ويقال. لأُلجمّنه(السيف) قال: فبلغتْ رسولَ الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطّاب: يا أبا حفص- قال عمر: والله إنه لأوّل يوم كناني فيه رسولُ الله ﷺ بأبي حَفْص- أيُضرب وجهُ عمِّ رسولِ الله ﷺ بالسيف؟ فقال عمر: يا رسول الله، دعني فَلأُضْرب عُنَقه بالسيف، فو الله لقد نافَق....).

ومن ذلك ما ورد في أمر حاطب حين حذر قريش من حرب الرسول ﷺ لهم فاستأذن الرسول وقال:(فقال عمر بن الخطاب، يا رسول الله، دَعْني فلأضرب عُنقه، فإن الرجل قد نافق)، وما ورد -أيضاً- في أمر أبي سفيان حين أقبل على رسول ﷺ وهو مشرك

فقال عمر:(يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عَقد ولا عهد، فدَعْني فلأضرب عنقه). لقد شارك عمر –رضي الله عنه– الرسول ﷺ في غزاوته لنشر الإسلام، وصد أذى المشركين بعد أن كان من أشدهم عداوة فمن ذلك: أنه كان شخصية منفذة ومستشارة ويظهر ذلك في قوله في غزوة بدر:(لما أتاه الخبرُ عن قريش بمَسيرهم لَيمنَعوا عِيرهم؛ فاستشار الناسَ، وأخْبرَهم عن قريش؛ فقام أبو بكر الصدّيق، فقال وأحسن، ثم قام عمرُ بن الخطاب، فقال وأحسن).

وشارك –رضي الله عنه– في غزوة أحد وتولّى إجابة أبي سفيان حين سأله عن مقتل الرسول ﷺ ، وشارك في غزوة بني النضير الذين قاموا بإجلائهم بعد غدرهم بالرسول، وغزوة بني قريظة' وشارك في صلح الحديبية، وغزوة خيبر، وشهد فتح مكة' وغزوة حنين، وغزوة الطائف، وغزوة تبوك، وشهد حجة الوداع مع الرسول ﷺ ، إنّ التعدد الذي وجد في شخصية عمر رضي الله عنه ، مرتبط باتساع المساحة التي حظيت بها الشخصية في مادة السيرة النبوية زمانياً ومكانياً، ممّا ساهم في رصد التغيرات التي لحقت بشخصية عمر رضي الله عنه فأنتجت عدة شخصيات من

في الجاهلية.	في الإسلام
ش١: مشركة ومعارضة	ش١: مسلمة وموحدة
ش٢: غير مسؤولة تعاقر الخمر	ش٢: قائدة ومستشارة ومنفذة
ش٣: ظالمة ومستبدة	ش٣: عادلة لّقبت بالفاروق
ش٤: شديدة الكره والعداوة للرسول	ش٤: محبة للرسول وفي مقدمة من يدافع عنه
ش٥: تفتقد للأمان النفسي.	ش٥: مطمئنة وقانعة.

جوانب عدة هي: الجانب الأيديولوجي، والأخلاقي، والإنساني، والذاتي، والفكري نشير إليها برمز(ش)، ويمكن رصدها في الشكل التالي:

شكل رقم (٣-٤) تعدد الشخصيات في شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه

سلمان الفارسي رضي الله عنه:

يعد سلمان الفارسي ﷺ شخصية متعددة عاشت حياةً مزدوجة بين المجوسية والنصرانية والإسلام والعبودية والحرية، وهذا التخبط الذي عاشه أحدث تحولاتٍ أثرت في اطمئنانه الروحي وأمانه النفسي، والذي انعكس على نمط شخصيته فأوجد عدة شخصيات تعكس واقعه المتعدد من قلق ثم اطمئنان وتكيف، ثم قلق رافقه انتظار لأمر الرسول ﷺ. لقد كانت شخصية سلمان في حياة المجوسية تفتقد لحرية الاختيار من خلال شدة والده، يظهر في قوله:(وكان أبي دِهْقانَ قَرْيته، وكنتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إليه، لم يزل به حبّه إياي حتى حَبَسني في بيته كما تُحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنتُ قَطن النار الذي يُوقدها، لا يتركها تَخْبو ساعةً)، حيث تلحظ الدراسة قوله: كما تحبس الجارية، فلم يكن سلمان يملك حرية الرأي، مما يوحي بأنّ المجوسية قد لا تكون باختياره، بل فرضت عليه –أيضاً–، فهو لم يختر أن يكون خادماً لها، بل كان عن إجبار من والده؛ مما أوجد شخصية خاضعة ومقيدة، تشعر بعدم الرضا والأمان. إنّ أثر شعور سلمان بعدم الأمان الروحي والقناعة بما هو عليه، أنتج شخصية تواقة تبحث عن الحقيقة، وعن معتقدات راسخة وسليمة تتوافق مع ما يريد، فهو رغم اجتهاده في المجوسية لم يكن مقتنعاً في معتقداتها وطريقة الصلاة والعبادة، فأنطلق يبحث حتى وجد الدين النصراني، وأعجب بصلاة النصارى وصنعهم:(قال: فمررتُ بكَنيسة من كنائس النّصارى، فسمعت أصواتَهم فيها وَهم يصلّون.... فلما رأيتُهم أعْجبتني صلاتُهم ورغبتُ في أمرهم وقلت: هذا واللهِ خيرٌ من الدين الذي نحن عليه) ، ولكنّ شخصيته عاشت اضطراباً وخوفاً من جديد؛ لتصرف أسقف النصارى يظهر ذلك في قوله :(وكان رَجُلَ سَوْء، يأمرهم بالصدقة، ويرغّبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها أكتنزه لنفسه، ولم يُعْطِه المساكين .... قال:

فأبغضتُه بغضاً شديداً). لقد أنكر سلمان فعل هذا الأسقف، وأخبر قومه بذلك، ثمّ أخذ يبحث عن أسقفٍ صالح فوجد غايته واطمأنت نفسه يظهر في قوله:(فما رأيتُ رجلاً لا يصلّي الخمس، أَرَى أنه كان أفضلَ منه وأزهد في الدنيا، ولا أرغبَ في الآخرة ولا أدأبَ ليلاً ونهاراً منه، قال: فأحببته حُباً لم أحبّه شيئاً قبله)[٤] .عكف سلمان رضي الله عنه زماناً طويلاً على النصرانية، يتنقل فيها من أسقفٍ لآخر، يظل معه حتى تحضره الوفاة ثمّ يسأله أن يوصيه بغيره، حتى أخبره آخر أسقفٍ كان معه بأمر الرسول ﷺ وأخبره أنْ يلحق به يظهر في قوله: (ولكنه قد أظلّ زمان نبيّ، وهو مبعوث بدين إبراهيم –عليه السلام–، يخرج بأرض العرب.... يأكل الهديّة، ولا يأكل الصدقة، وبين كَتِفَيْه خاتَم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل). انطلق سلمان قاصداً الرسول ﷺ وفي خلال رحلته، عاش تجربة العبودية حيث وقع أسيراً وبيع لتاجر يهودي، فكانت شخصيته تابعة تنفذ الأوامر ولا تملك الحرية، وحين بلغه أمر بعثة الرسول ﷺ، ذهب إليه في مسجده بقباء ليستوثق من أمره، وهذا يعطي دلالةً لشخصية قلقة وحذرة ترغب بالتثبت :(قد بلغني أنك رجلٌ صالح، ومعك أصحاب لك غُرباء ذوو حاجة، وهذا شيءٌ قد كان عندي للصّدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقرّبته إليه؛ فقال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: كلوا، وأَمْسكَ يَده فلم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة...)، وحين اطمأن لذلك أعلن إسلامه الذي انعكس عليه فنال الحرية بعد العبودية، وأصبح شخصية مستشارة ومنفذة؛ وذلك في إشارته على الرسول ﷺ بحفر الخندق وتنفيذه له، ولقد شهد سلمان مع الرسول ﷺ كل غزاوته باستثناء غزوة بدر حيث كان لا زال حينها رهناً للعبودية. إنّ تعدد شخصية سلمان–رضي الله عنه– كان انعكاساً للواقع الذي عاشه، بدءاً من كونه شخصية تعتنق المجوسية، فكان شخصية تابعة وقلقة ومضطربة تفتقد الاطمئنان الروحي والأمان النفسي، وانعكس عليه كذلك في فترة اعتناق الدين النصراني، واستمر حتى في تجربة العبودية التي تمخّضت عنها شخصية ذليلة وخاضعة، ترغب في

الخلاص والأمان، ثم تبدل واقعه عند اعتناقه الإسلام فوجدت الدراسة شخصية مسلمة ومستشارة ومنفذّة، وشخصية نالت الاحترام الذي افتقدته سابقاً، وهذه التعددية في شخصيته تأثّرت بالديانات الثلاث التي اعتنقها: المجوسية والنصرانية والإسلام، فأثر البيئة الأيديولوجية والامتداد الزماني و المكاني ساهم بشكل فعّال في تعدد شخصيته، يمكن رصد التعددية في شخصيته في الشكل التالي:

الشخصية المسلمة
حرة – منفذة- مستشارة، محترمة- آمنة – مطمئنة
روحياً- مستقرة- راضية

الشخصية المستعبدة
خاضعة- ذليلة- قلقة، تفقد الرضا والأمان، خادمة

الشخصية النصرانية
حرية الرأي- الاضطراب، القلق مستمر- الخوف، تابعة

الشخصية المجوسية
خاضعة- قلقة- تفقد الأمان النفسي
غير مقتنعة بالمعتقدات، باحثة عن الحقيقة

شكل رقم (٤–٤) تعدد الشخصيات في شخصية سلمان الفارسي رضي الله عنه

خاتمة:

الحمدالله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبفضله وإحسانه تمت هذه الدراسة، التي اتخذت من تعدد الأصوات آلية، ومن النص التاريخي مادة، يتبين فيه مرونة نص السيرة النبوية واستيعابه لمفهوم تعدد الأصوات والذي تمثل في تعدد الشخصيات، ومما ساعد على ذلك امتداد نص السيرة النبوية زمانياً ومكانياً، فكانت نتائج البحث كالتالي:

- ساهمت الصراعات الفكرية والعقدية بفتح أبواب الحوار بين الأصوات المتعارضة وألغت سلطة الصوت الواحد.
- ساعد التعدد على استقلال كل شخصية برأيها ليظهر بشكل واضح على مستوى الشخصية الواحدة والشخصيات المختلفة، وعلى مستوى النص الواحد ونصوص مختلفة.
- ظهرت القيمة الأدبية لهذا النص التاريخي من خلال تطبيق آلية حديثة عليه، مما ساهم في إعادة إحياء التراث من جديد.

المصادر والمراجع:

- بحراوي، حسن (١٩٩٠م) بنية الشكل الروائي، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- ابن منظور، محمد (١٩٩٤م) لسان العرب، ج٧، ط٣ (بيروت: دار صادر.
- فتاح، علي، تقنيات بناء الشخصية في رواية (ثرثرة فوق النيل)، مجلة كلية الآداب، العدد ١٠٢.
- تودوروف، تزفيتان (٢٠٠٥م) مفاهيم سردية، ترجمة: عبد الرحمن مزيان، بيروت: منشورات الاختلاف.
- مانفريد، يان(٢٠١١م) علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد، ترجمة: أماني أبو رحمة، سوريا: دار نينوى.
- قصاب، وليد (٢٠٠٨م) من قضايا الأدب الإسلامي، دمشق: دار الفكر.

- لحمداني، حميد(١٩٩١م) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط٤، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- القباني، حسين (١٩٤٩م) فن كتابة القصة، مكتبة المحتسب للنشر والتوزيع.
- وهبة، مجدي، المهندس، كامل (١٩٨٤م) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، بيروت: مكتبة لبنان.
- يقطين، سعيد (١٩٩٧م) قال الراوي (البنيات الحكائية في السير الشعبية)، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- مرتاض، عبد الملك (١٩٩٨م) في نظرية الرواية، الكويت: علم المعرفة.
- بو عزة، محمد (٢٠١٦م) حوارية الخطاب الروائي – التعدد اللغوي والبيولفونية، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- باختين، ميخائيل (١٩٨٦م) شعرية دوستويفسكي، ترجمة: د. جميل التكريتي، مراجعة: د. حياة شرارة، بغداد: دار توبقال للنشر.
- عبد الملك، هشام (١٩٥٥م) السيرة النبوية لابن هشام ٢١٨هـ، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإيباري، عبد الحفيظ شلبي، ط٢، ج١بيروت: دار إحياء التراث.